﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ١٦﴾ [إبراهيم: 16]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بيانُ جانبٍ من جوانب الخَيبة للجَبّار العنيد

بعد أن بيّن ﷻ في الآية السّابقة خَيبةَ كلِّ جبّار عنيد؛ وما تلك الخَيبة إلّا لتوكُّله على ما يملك من قوّة أو سلطة من زخرف الدّنيا الزّائف، فتراه مُتكبّرًا متجبّرًا، جاءته نقمة الله، وجاءه من الخسران في الدّنيا، وجهنّم تلاحقه وتحيط به في الآخرة، وإذا بمشهد وحيد يتصدّر؛ وهو: ﴿وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ﴾؛ فلعلّه أبشع ما يمكن أن يتصوّره أولئك المتكبّرون المُتنعّمون بالدّنيا وزينتها أن يُسقَوْا يوم القيامة بماءٍ عفِنٍ خارج من أجساد الكافرين أمثالهم.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَرَآئِهِۦ﴾: جذر الكلمة (وري)؛ أوْراه غيره، ووَرّاه تَوْرِيَةً: أخفاه، وتَوارَى: استتر، ووَراء بمعنى: خَلْف، وقد يكون بمعنى قُدّام، وهو من الأضداد، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ﴾ [الكهف: 79]؛ أيْ: أمامهم، وتقول: وَرَّى الخبر تَوْرِيةً؛ أي: ستره، كأنّه مأخوذ من وراء الإنسان، كأنَّه يجعله وراءه حيث لا يظهر[1]. يُقال: وارَيْتُ كذا: إذا سترته، قال تعالى: ﴿قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ﴾ [الأعراف: 26]، نحو قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١﴾ [هود: 71]، ﴿ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ﴾ [الحديد: 13]، ﴿فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ﴾ [النّساء: 102]، وقوله: ﴿أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۚ﴾ [الحشر: 14]، فإنَّ ذلك يُقال في أيّ جانب من الجدار، فهو وَراءَهُ باعتبار الّذي في الجانب الآخر[2].

2) ﴿صَدِيدٖ﴾: جذر الكلمة (صدد)، والصَّديد: ما يسيلُ من

(1) الرّازيّ، مختار الصّحاح: (وري).
(2) الرّاغب، المفردات: (وري).

أجساد أهلِ النّار. وقيل: ما حالَ بين الجلدِ واللَّحمِ من القَيْحِ[1]. الصُّدودُ والصَّدُّ قد يكون انصرافًا عن الشّيء وامتناعًا، نحو: ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النّساء: 61]، وقد يكون صرفًا ومنعًا نحو: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النّمل: 24]، ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [مُحمّد: 1].. إلى غير ذلك من الآيات[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

جـانـبٌ مـن جوانب الخَيْبة في الآخـرة، هي الخَيْبة الكبرى

بيّنت الآية الكريمة جانبًا من جوانب الخَيْبة الّتي مُنِيَ بها الكافرون الّذين قد استفتحوا فخابوا، فأظهرت الآية صورة الخَيْبة الكبرى في نار جهنّم قد أحاط بهم العذاب من كلّ جانب، وإن طلب السُّقيا؛ سُقيَ من ماءٍ صديد؛ هو عُصارة ما يخرج من أجساد المُعذَّبين في النّار، وما أفظع ذلك العذاب.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

موقع قوله: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ ودلالته:

الـدُّنـيـا جسر الآخـرة، ومَـن خـاب في الدّنيا فإنّ خيبة الآخرة أعظم

قوله ﷻ: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ جملة في محلّ جرٍّ صفة لـ ﴿جَبَّارٍ﴾؛ وهي كناية عن طلبها له وترصُّدِها إياه، فهي مُدرِكةٌ له لا مَحالة. وقيل: على تقدير مُضاف؛ أيْ: من وراء حياته وانقضاء عمره[3]. فتكون العبارة قد ذكرت الدّنيا والآخرة؛ لأنّ الدُّنيا ومواقفها هي جسر الآخرة، ومَن كُتبت عليه خَيْبة الدّنيا بالكفر والإصرار عليه، فقد خاب وخسر في الآخرة خسرانًا مبينًا.

غرض الكناية في ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾:

تهديدُ الجبّارين المـعـانـديـن كـسـرٌ لشوكة عنادهم وهزيمةٌ لاستعلائهم

(وراء) من الأضداد، فهي تدلّ على الخلف المستور والأمام غير المنظور، وأصل المعنى من الوري والاستتار، والسّياق يمحّضها لمعنى

(1) ابن عادل، تفسير اللّباب: 1/3106.
(2) الرّاغب، المفردات: (وري).
(3) القاسميّ، محاسن التّأويل: 6/308.

الأمام المستور، والغرض تهديد المُعاندين الجبّارين بما هو مُستتر عنهم وقادمون إليه لا محالة، وفي التّهديد كسرٌ لكبريائهم، فـ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾؛ بمعنى: من بين يديّه، وهذا وصف حاله وهو في الدُّنيا، لأنّه مرصدٌ لجهنّم، فكأنّها بين يديّه وهو على شفيرها، أو وصف حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف.

سرُّ تخصيص نوعٍ واحد من العذاب بالذّكر:

خصّصتِ الآية نوعًا واحدًا من العذاب بالذّكر، لبيان أنه هو النّوع الأفظع والأدْعى للاعتبار والكفّ في الدّنيا عمّا يؤدّي إليه من الكفر والإصرار، فجعل قولَه: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ كافيًا عن ذِكْر ما سواه.

الماءُ مطلبٌ لاستمرار الحياة وهو في جهنّم سبب للعذاب

معنى حرف الجرّ في قوله: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾:

أفاد حرف الجرِّ ﴿مِّن﴾ ابتداء الغاية، فيكون الوراء وهو ما خفي عن الإنسان وغفل عنه هو الموضع الّذي يأتيه منه العذاب، بمعنى أنّه من المفترض أن يصيبه العذاب حتمًا، ثم إنّه يُسقَى مقابل ذلك، والسَّقْيُ يكون من أمامه ماء، هو ليس كالماء إنّما هو ماءٌ صديد.

العذاب يأتي المُتجبِّر العنيد من ورائه ومن أمامه

بلاغة الاستعارة في: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾:

قوله عزَّ من قائل: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾؛ أيْ: من قُدّامه وبين يديّه، واستعمال (وراء) في هذا وذاك بناء على أنّها من الأضداد عند بعضهم، ويمكن أن تكون من المشتركات المعنويّة؛ فهي موضوعةٌ لأمرٍ عامٍّ صادق على القُدّام والخلف، وهو ما توارى عنك، وقد تفسّر بالزّمان مجازًا فيُقال: الأمر من ورائك على معنى أنّه سيأتيك في المستقبل من أوقاتك[1]، فالوراءُ مُستعمَلٌ في معنى ما ينتظره ويحِلّ به من بعد، فاستُعيرَ لذلك بجامع الغفلة عن الحصول، كالشّيء الّذي يكون من وراء المرء لا يشعر به؛ لأنّه لا يراه[2].

تنوّعُ دلالة (الوراء) في الآية الكريمة دليل ثراءٍ لغويٍّ

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 7/191.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/210.

غرض تقديم شبه الجملة ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾:

في قوله ﷻ: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ قدّم شبه الجملة الجار والمجرور ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾، تشويقًا للمُسنَد إليه من باب التّهكّم بهم، والتّشنيع عليهم، وذلك متناسب مع جُرم عملهم وتجاوزهم.

تقوية معنى الخفاء عن نظر الإنسان

غرض تنكير ﴿جَهَنَّمُ﴾:

جاء تنكير جهنّم للتّهويل في قوله جلّ ثناؤه: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ بيانًا لما يلحق بهم من خطرها، كما أنّ في تنكير (جهنّم) إشعارًا بما هو مُخبّأ لهم فيها من أصناف العذاب والأهوال ممّا لا يُعرف ولا يُدرك، ثمّ أبرز نوعًا واحدًا من أصناف العذاب الّذي لا يُطيقه أحدٌ قط؛ فقال: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾.

الإشعار بأنّ المخبّأ في الآخرة عظيمٌ

فائدة عطف ﴿وَيُسْقَىٰ﴾ على ما قبلها:

عُطف قوله: ﴿وَيُسْقَىٰ﴾ على محذوفٍ تقديره: من ورائه جهنّم يُلقَى فيها، ويُسقَى من ماءٍ صديد[1]، وفيه بيان لتنوّع العذاب في الآخرة، ولعلّه من قبيل عطف الخاصّ على العامّ للإشادة بالخاصّ، لأنّه خصّص سُقيا الماء الصَّديد من بين أصناف العذاب الكثيرة.

تنوّع العذاب في الآخرة بتنوع جُرم المُعذّبين، ولكلٍّ نصيبه المُقدَّر

نكتة التّعبير بالفعل المبنيّ للمفعول: ﴿وَيُسْقَىٰ﴾:

في قوله: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ أُسند فعل السُّقيا إلى المفعول، لعدم تعلّق غرضٍ بذكر الفاعل، أو يأتي البناء للمفعول للتّهوين، وعدم الاكتراث بحالهم، على الرّغم من سوء العذاب وشديده، ولتعظيم شأن الفاعل، فلا يُذكر صراحةً لما هم فيه من المهانة، حتّى ينشغلوا بالفعل عن الفاعل، وذلك على خلاف ذِكر الفاعل في وصف سُقيا أهل الجنّة قال تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ [الإنسان: 21].

تصوير الحال المَهين لأهل النّار يوم القيامة

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/513، وابن عادل، تفسير اللّباب: 1/3104.

دلالة (مِن) في: ﴿مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾:

بيان جنس الماء الّـذي يُـسـقَـوْنَ مـنـه وتـصـويـر مهانتهم

في قوله: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ تتجلّى فائدة (من)، وهي بيان جنس الماء الّذي يُسقَوْنَ منه، فخصّ هذا الوجه من عذاب أهل النّار دون غيره مع كثرتها، وسبب ذلك أنّه قد تكون هذه الحال أشدّ أنواع العذاب، فخُصِّصَ بالذِّكر مع قوله: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾[1]، وتخصيصُه بالذّكر من بين عذابها يدلّ على أنَّه من أشدّ أنواعِه[2]، وقد تكون ﴿مِن﴾ ابتدائيّةً على معنى أنّ أوّل ما يُبدأ فيه من السُقيا هو الماء الصّديد.

نكتة تنكير ﴿مَّآءٍ﴾:

بيان طبيعة الماء الّـذي يُـغـاث به الذين كفروا عند طلبهم السّقيا

جرى تنكير ﴿مَّآءٍ﴾ في قوله ﷻ: ﴿مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ للتّنويع، ويدلّ على أنّه ماءٌ لا يمتلك صفات الماء المعهود لدى المُخاطَبين، وإنّما سُمّي بالماء تماشيًا مع ما يجول في نفوس المُعذّبين من أمنيات، من طلب الماء والاستغاثة؛ فتكون إغاثتهم بما هو أبعد شيء عن صفات الماء وفائدة شربه؛ وهو الصّديد أو القَيْح النّازل من جلود أهل النّار، والعياذ باللّه، فيطلبون الماء للرّيّ والتّبريد؛ فيأتيهم عذابٌ بما سُمّي بالماء الصّديد.

نكتة التّعبير بـ﴿صَدِيدٍ﴾:

الصّديد: جذر الكلمة هو (صدد)؛ والصُّدودُ والصَّدُّ انصرافٌ وامتناعٌ عن الشّيء، نحو: ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النّساء: 61][3]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّـهِ﴾ [مُحمّد: 1]، ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الحجّ: 25]، إلى غير ذلك من الآيات. وعلى مذهب البصريّين هو بدلٌ من ماءٍ؛ إن اعتُبِرَ جامدًا، أو نعتٌ

الصّدُّ والصّديد من مادّة لغويّة واحدة

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 19/79.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/513، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/39.
(3) الرّاغب، المفردات، ص: 309.

إن اعتُبِرَ فيه الاشتقاق من الصَّدِّ؛ أي: المنع من الشُّرب كأنَّ ذلك الماء لمزيد قُبحه مانعٌ عن شربه، أو هو بمعنى مصدودٌ عنه؛ أيّ: لكراهته، وإطلاق الماء على ذلك ليس بحقيقة، وإنّما أُطلِقَ عليه باعتبار أنَّه بدله[1]. ونكتة اختيار لفظ صديد في عذاب هؤلاء الّذين كفروا بالرّسالات، وصدّوا النّاس عن الإيمان بها، أنّ المادّة اللّغويّة للصدّ والصّديد هي واحدة.

نكتة الإيضاح بعد الإبهام:

وصفٌ لطبيعة الماء الّذي يشربه الكفّار في جهنّم

في قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾؛ الصّديد؛ هو الدَّمُ والقَيْحُ، وأعربه الزّمخشريّ عطف بيان لـ ﴿مَّآءٍ﴾، وفي إبهامه أولًا ثم بيانه من التَّهويل ما لا يخفى، وجواز عطف البيان في النّكرات مذهبُ الكوفيّين[2]. فلمّا قال: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ﴾، ناسب إيراد السُّقيا مع الماء، فالسّقيُ يكون بشرب الماء باسْتساغةٍ وراحة، لكنّه لمّا وضّح طبيعة الماء ظهرت شناعة صفاته وقبحُ حال مَن يشربه، فقال: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾.

سرُّ تخصيص نوع واحد من العذاب بالذّكر:

الماء مطلبٌ لاستمرار الحياة وهو في جهنّم سبب للعذاب

خصّصتِ الآية ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ نوعًا واحدًا من العذاب بالذّكر، لبيان أنّه هو النّوع الأفظع والأدْعَى للاعتبار والكفّ في الدّنيا عمّا يؤدّي إليه من الكفر والإصرار، فجُعل قوله: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ كافيًا عن ذِكر سواه.

التّشبيه البليغ في قوله: ﴿مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾:

يشرب الكافرون ماءً يشبه الصّديد

جاء الوصف ﴿مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ على طريقة التّشبيه البليغ في حذف أداة التّشبيه ووجهه، أيّ: ماء مثل صديد، وعلى هذا فليس الماء الّذي تشربونه صديدًا، بل مثله في النَّتنِ والغِلَظ والقذارة، كقوله تعالى:

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 7/191.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 7/191.

﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ [الكهف: 29]. ولمّا كان الصّديد يشبه الماء في سيلانه، فقد أُطلق عليه ماءً، وهو ليس بماء حقيقةً، وعلى هذا فيكون: (يشربون الصَّديد نفسه) المشبَّه للماء[1]. وقيل: بأنْ يخلق اللّه تعالى في جهنّم ما يشبه الصَّديد في النَّتن والغِلَظ والقذارة، وهو أيضًا يكون في نفسه صديدًا، لأنَّ كراهته تصدُّ عن تناوله، وهو كقوله: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ۝١٥﴾ [محمد: 15]، وقوله: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾ [الكهف: 29][2].

(1) ابن عادل، تفسير اللّباب: 1/3104.

(2) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 19/80.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 24 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-21-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 24 : المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-21-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1718375 بتاريخ 2024/02/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»